الفصل السابع

نظم غريبة عند قدماء المصريين

- المعهد المقدس وأسرار المعرفة المحرمة .
- العادات الجنائزية القديمة .
- عمارة الخلود والحياة لدى قدماء المصريين .
- عيد وفاء النيل .
- الحب بالسحر !
- ..... ونظم أخرى .

obeikandi.com

obeikandl.com

• المعهد المقدس وأسرار المعرفة المحرمة :

عرف قدماء المصريين مراحل التعليم المختلفة حتى مرحلة التعليم العالى، فقد اشتهرت مصر بجامعاتها العلمية منذ أقدم عصور حضاراتها. . . وأقدم جامعة أُقيمت فوق أرض مصر القديمة «جامعة أون»(١)، ووصفها القدماء باسم «قلعة المعرفة المقدسة».

وقد ازدهرت جامعة «أون» القديمة بمختلف علوم اللاهوت والفلك والطب والهندسة والرياضيات والزراعة والفنون والآداب فى وقت واحد. .

ومنها تخرج أمحتب وأخناتون، وانتسب إليها أكثر الفلاسفة والعلماء الذين وضعوا أسس الحضارة والفلسفات والتشاريع.

وعرفت جامعة «أون» البحث العلمى الذى كان يدور فى جو كهنوتى غامض. . . وكان العلماء والطلبة فى المعهد المقدس يقضون حياتهم كلها فى خدمة العلم كعقيدة مقدسة(٢).

---

(١) قد أخذ اسم عين شمس من «أون ـ رع» أى عين إله الشمس التى يطل بها على الأرض. . . كما يقصد بكلمة «أون» أيضًا المرصد، نسبة إلى مرصدها المشهور الذى خرجت منه معجزات نظريات علم الفلك القديم للعالم أجمع.

(٢) قد استمر معهد «أون» يؤدى رسالته العلمية والحضارية ما يقرب من ثمانية آلاف عام حتى بداية الغزو الفارسى.

وداخل المعبد يحرم عليهم الاتصال بأحد من خارج المعبد الذى كان يُعَدُّ كمدينة كبيرة كاملة... كما كان يحرم عليهم إفشاء أسرار المعرفة التى تعلموها، والعلوم التى يمارسون تطبيقاتها.

وينقسم علماء معبد «أون» إلى قسمين:

قسم يُعد الكهنة المبجلين ورثة أنصاف الآلهة، وهم الذين يلقنون العلم ويتخصصون فيه بالوراثة، أباً عن جد.... ومن العجيب أن يذكر عمر العالم منهم بعمر نسبه، فتشير شهادة ميلاده إلى أن عمره خمسمائة عام، أو ألفا عام، وهكذا. ويعد هؤلاء الكهنة العلماء أمناء على أسرار مقدسات المعرفة بالمعبد.

والقسم الآخر يشمل العلماء المنتسبين، أو الأمناء على أسرار المعرفة، ويحملون لقب الكهنة الأمناء، ويتخصصون عادة فى العلوم التطبيقية أى الواسطة بين أسرار المعرفة وما يكون منها فى خدمة الشعب والمجتمع.

ومن معبد «أون» خرجت بعثات الكهنة لنشر عقيدة توحيد الإله رع، رب الأرباب فى أنحاء الوادى، وإقامة المعابد وبيوت الحياة، أو المعاهد العلمية التابعة لها لنشر المعرفة.

* * *

*** الصيد عند قدماء المصريين:**

عرف المصريون القدماء الأصول الفنية لصيد مختلف أنواع الحيوانات فى مختلف مناطق الصيد، كما عرفوا طريقة إقامة السياج حول مناطق شاسعة من الأرض، يقوم الصيادون بدفع حيوانات الصيد داخلها، ثم تبدأ بعد ذلك رياضة الصيد بالسهام وبالاستعانه بكلاب الصيد[1] ... وكثيراً ما كانت

(١) قد عنى المصريون بكلاب الصيد ودربوها على مطاردة الأنواع المختلفة من الحيوانات، وعلموا الكلاب كيف تحاصر إناث الغزال وصغاره، وتمنعها من الحركة حتى يصل الصياد ويقيدها=

الزوجة تشارك زوجها وترافقه فى رحلات الصيد، وتقوم بالعناية بكلاب الصيد وإعداد غنائم الصيد.

وكان الملوك يأخذون معهم فى الصيد بعض أتباعهم من الصيادين المحترفين، وخاصة فى رحلات الصيد الخطرة، فلقد كان الصيد من أحب ملاهى الملوك والأمراء وكبار رجال الدولة.

وكان الملوك يتفاخرون بشجاعتهم وقوة سواعدهم ومهارتهم الفائقة فى إصابة الأهداف(١).

وكان من أشهر مباريات الصيد وأخطرها فى نظر المصريين صيد «التمساح» و«فرس النهر» باستعمال الحراب والرماح.

وكان صيد الطيور من الهوايات المحببة لدى المصريين القدماء، فكانت تجمع بين الرياضة والمتعة... وكثيراً ما كان الصياد يصطحب زوجته وأولاده لمشاركته فى متعة الصيد.

= بالشباك أو الحبال، ويحملها معه، حيث كانوا يحرمون قتل إناث الغزال وصغاره، أو حتى إصابته بالأسلحة، كما دربوا كلاب الصيد على حماية خيام الصيد من الأفاعى والزواحف أثناء الليل.

(١) فيصف تحتمس الثالث كيف خرج فى رحلة لصيد الأفيال فى سوريا، فاصطاد منها مائة وعشرين فيلاً... وأنه قد رمى فيلاً ضخمًا بدون أن يصيب منه مقتلاً، فهجم عليه الفيل وكاد يفتك بالملك الجرىء لولا تعريض قائده العظيم «امنحتب» حياته للخطر، ومبادرته بقطع خرطوم الفيل... كما اشتهر «رمسيس الثالث» برحلات الصيد التى كان يصطاد فيها الثيران الوحشية، وسجل فى مدينة «هابو» قائمة ضخمة بما قام باصطياده من الثيران والأسود التى اصطاد منها ثلاثة أسود فى رحلة واحدة فى صحراء الأهرام.

كما سجل «توت عنخ آمون» الملك الشاب رحلات الصيد التى كان يقوم بها، ويصطاد السباع بالأقواس والسهام، وفى إحداها صور كيف قبض على شبل من ذيله ورفعه إلى أعلى وطعنه بخنجره.

وقد استخدموا عدة طرق لصيد الطيور، فى مقدمتها عصا الرماية «البوميرانج»(١)، أو استعمال الشباك الكبيرة(٢). وكانوا يجمعون طيور الصيد الحية ويربونها فى حظائر خاصة لتصبح من الطيور والدواجن الأليفة.

كما عرف المصريون القدماء صيد الأسماك بالشباك، ومن قبلها استعملوا السنارة.

* * *

* **المصارعة:**

تعد المصارعة من أقدم أنواع الرياضة التى عاصرت رياضة الصيد فى جميع مراحلها، وكانت موضع اهتمام خاص فى الدولة القديمة، حيث كان يمارسها الشعب بجميع طبقاته، وكانت من الألعاب الرياضية التى تُدرس فى المدارس، وتعقد لها المباريات فى مختلف المناسبات الدينية والشعبية والأعياد القومية... وتعد لها مساحات خاصة فى الأسواق والميادين.

وكان لبداية المصارعة تقاليدها التى صورتها النقوش(٣)، حيث كانت المباراة تبدأ بأن يشد كل لاعب على يد منافسه بيسراه، ويجذب عنقه بيمناه، وهو تقليد يهدف به اللاعب إلى اختبار بأس خصمه... كما كان يشترط للفوز أن يجبر المغلوب على أن يلمس الأرض بثلاثة أجزاء: اليدين،

---

(١) هى عصًا خشبية معقوفة الطرف، شُكلت بأشكال هندسية دقيقة الصنع، كانوا يقذفونها إلى أعلى بخفة وسرعة بين أسراب الطيور، فتدور فى انحناءات سريعة ثم تعود إلى راميها فيتلقفها وهو قائم فى موضعه بعد أن يصيب الطير الذى يتساقط حوله.

(٢) كانت تصنع من ألياف النخيل وخيوط الكتان، وكانت تُصنع أيضًا وفقاً لأشكال هندسية.

(٣) لقد ظهرت رياضة المصارعة ومبارياتها فى كثير من النقوش واللوحات القديمة محفورة بإتقان على لوحات من العاج.

والركبة، والأكتاف... ويتساوى أن يتمدد المغلوب على بطنه أو على ظهره[1].

* * *

* **المبارزة:**

كانت أول أسلحتها العيدان الخشبية ذات الرءوس المدببة، والأسياخ المعدنية، وهى لم تكن تختلف عن المبارزة المعروفة حاليًا بالشيش، حيث كان المتبارزون يغطون رءوسهم وأذقانهم بأحزمة وخوذات من الجلد، وفى كثير من الحالات كان اللاعبون يحمون سواعد دفاعهم بأربطة جلدية يتلقون بها الضربات.

وتعد ألعاب المبارزة بالسلاح بصفة عامة امتدادًا للعبة «التحطيب»[2] التى كانت من الألعاب الشعبية الشائعة بين المصريين القدماء.

* * *

* **السباحة وألعاب الماء:**

كانت تعقد مباريات السباحة بين الشباب فى أحواض السباحة، وبرك البردى، والبحيرات المقدسة، كما كانت تجرى مباريات الغوص لالتقاط قطع الحلى التى تكون من نصيب من يلتقطها من أعماق البحيرات والنهر المقدس فى مناسبات الأعياد المقدسة، مثل عيد «حتحور» إلهة الحب والجمال، أو عيد الإله «حعبى» إله النيل.

---

(١) مما يلفت النظر أن تلك الاشتراطات تعد من أصول القواعد التى تخضع لها مختلف ألعاب المصارعة فى العصر الحديث.

(٢) كانت تُؤَدَّى هذه اللعبة فى أول ظهورها باستعمال عيدان الغاب الذى ينمو على شواطئ النيل، ثم استعملت عيدان سعف النخيل.

ومما يدل على مكانه السباحة لدى قدماء المصريين[1] أنه لم يَخْلُ قصر من قصور المدينة أو مسكن من مساكن نبلائها من وجود حَمَّام كبير للسباحة فى حديقته.

وبعض القصور كان يضم حوضين للسباحة: أحدهما فى الحديقة الداخلية للأطفال والعائلة، والآخر فى مواجهة قاعة الاستقبال للضيوف والحفلات.

ومع رياضة السباحة ظهرت رياضة التجديف التى برع فيها المصريون القدماء، وقد تفنن المصريون القدماء فى صناعة مختلف أنواع سفن التجديف والقوارب الشراعية.

وكانت هواية التجديف من الهويات المفضلة والمستحبة عند النساء والرجال على السواء... وكان للنساء قوارب خاصة تفنن المصرى القديم فى صنعها وزخرفتها، وكن يخرجن للتجديف بها فى بحيرات البردى، وفى الأحواض الخاصة بالقصور، فى مختلف المناسبات والأعياد...

وتصاحب ضربات المجاديف دقات الطبول والدفوف، وآلات الموسيقى، وأصوات الغناء، مما كان مادة خصبة لكثير من أدباء وشعراء الدولة القديمة فى وصف الكثير منها[2].

ومن الرياضيات المائية التى ابتكرها المصريون القدماء ما أطلق عليه

---

(١) ذكرت إحدى برديات الدولة القديمة فى عصر الأهرامات أن أبناء الملك كان لهم مدرب خاص يعلمهم السباحة... وأنهم كانوا يشتركون فى المباريات والاستعراضات الخاصة بأعياد «منف» مع المتسابقين من أبطال رياضة السباحة والعابها.

(٢) تصف برديات «وستكار» التى ترجع إلى الأسرة الرابعة سفينة الأميرة «مروى» بنة «سفرو» التى كان يقوم بالتجديف فيها عشرون وصيفة من أجمل العذارى ذوات أجمل الصدور والجوارح، ولا يستر أجسادهن سوى غلالات من شباك الصيد، وكن يجدفن بمجاديف مكسوة برقائق الفضة على أنغام القيثارات.

«مبارزات القوارب»... كانت المباراة تبدأ عندما يتلاقى قاربا الفريقين المتنافسين فيتضاربان بعُمد طويلة يحاول خلالها كل فريق إسقاط منافسيه فى الماء.

* * *

* ألعاب الجمباز والأكروبات:

برع المصريون القدماء فى ألعاب الجمباز والألعاب الاستعراضية... وكانت هناك أنواع خاصة من الاستعراضات للحفلات الدينية وأعيادها تجمع بين الحركات الإيقاعية والتمثيلية التعبيرية كرقصات الباليه(١).

وكانوا فى حفلات الاستعراض والمباريات يرتدون أزياء رياضية موحدة تتشابه مع أزياء الرياضة الحالية، ويتألف الزى من إزار نصفى محبوك على الخصر ومثبت بحزام عريض يحمل شارة الفريق الذى ينتمى إليه اللاعب، وأشرطة عريضة يربطها كل لاعب حول معصمه ورسغيه... كما كان للمدربين والمحترفين زى خاص يميزهم عن بقية اللاعبين.

* * *

* الرياضة الذهنية:

أما رياضة العقل أو رياضة الذهن وما ارتبط بها من ألعاب وقت الفراغ، فقد شملت عددًا لا يحصى من الألعاب التى ابتكرها المصرى القديم، مثل

---

(١) يلاحظ أنه قد حفظت نقوش صور الحياة اليومية التى تزين جدران كثير من مقابر الدولة القديمة والوسطى مجموعات قيمة من استعراضات ألعاب الجمباز الجماعية التى تشترك فى بعضها الفتيات والشبان، وتجمع حركاتها الكثير من حركات الأكروبات المعروفة حاليا بأوضاعها الفنية التى تجمع بين الرشاقة والتناسق.

لعبة «السيجة»(١) الشعبية التى ما زالت تحتفظ باسمها المصرى القديم. . . كما وجدت لعبة «الضامة» أو «الشطرنج»(٢) التى كان الملوك وعلية القوم يتبارون فى ممارستها، حيث كانت اللعبة المفضلة عند الكثير من الفراعنة والكهنة. . وكانوا يحتفظون بنماذج منها فى مقابرهم ضمن الأثاث الجنائزى.

كما عرف المصريون القدماء لعبة «الدومينو» المعروفة حالياً، وذلك فى إطار لعبة مماثلة لها بأحجارها وترقيمها.

ومن الألعاب التى كانت شائعة عند المصريين القدماء لعبة تسمى «الكلب والثعلب». . . ولعبة «الأفعى الملتوية»، وتعتمد كل منهما على المهارة فى معرفة الخانات التى تحرك عليها قطع مخروطية، بما يشبه حاليًا لعبة «النرد» أى الطاولة.

* * *

(١) كانت لوحاتها تقسم إلى ١٦ و ٣٦ مربعا، وكانوا يحفرونها أو يرسمونها على الأرض مباشرة، أو تخطط على الرمال فى الحقول. . وتعد قطع لعبها من الحصى والأحجار المختلفة الأشكال أو الألوان، وهى الطريقة المتبعة إلى الآن فى الأرياف، كما كانت تُصنع لها لوحات خاصة من الخشب والارتواز، تُرقم الخانات فيها بالأرقام أو بالرموز.

(٢) كانت لوحة الشطرنج أو الضامة مقسمة إلى ١٨ و ٣٠ و ٣٦ مربعًا يتميز بعضها عن بعض بالألوان أو الرموز والأرقام. . . وكانت قطعها تصنع على هيئة الناقوس والمخروط ونصف الكرة، كما كانت تُشكل بعض قطعها بأشكال إنسانية وحيوانية تُصنع من العاج أو الخشب، ويختلف لون كل مجموعة عن الأخرى. .

كما تفنن المصريون القدماء فى صناعة مناضد اللعب، وخزائن حفظ القطع، حتى كانت منضدة اللعب تعد من أهم التحف الفنية التى يحتفظون بها.

* **الرياضة النفسية:**

وهى رياضة كانت تُلَقَّنُ كعلم قائم بذاته، له تعاليمه وطقوس ممارسته التى يعبر عنها بالرقص الدينى الذى كان يُمارَسُ فى الحفلات الدينية.

وقد وصف المصريون القدماء الرياضة النفسية برقصاتها الدينية بأنها من الفنون الراقية التى يمارسها الآلهة، والتى تستمتع بمشاهدة طقوسها.

وكانوا يعدون حركاتها هى لغة التخاطب مع الآلهة، ففيها ما يعبر عن الدعاء، أو الاستمالة، أو الاستجابة، أو طلب الحماية، وإبعاد قوى الشر.

كما كانوا يعدون الرقص الدينى نوعًا من الصلاة، والذى كان يُعبر عنه بالرقص الطقسى الذى يعد من الطقوس الدينية الجنائزية.

وكان الرقص الدينى وطقوسه يحتاج إلى مران طويل، ونوع من التخصص فى المعابد. وقد سجلت كثير من الملكات والأميرات أسماءهن فى لوحات المعابد، بما يثبت اشتراكهن فى طقوس الرقص الدينى وحفلاته، وحمل بعضهن لقب «راقصة المعبد الأولى».

كما سجل بعض ملوك الفراعنة صورهم وهم يقومون بتلك الطقوس ورقصاتها، ومن بينها رقصة دينية خاصة أُطلق عليها «رقصة الملك» يظهر فيها الملك وهو ممسك بمجداف، عند تقديمه القرابين للآلهة.

وقد كشفت الرياضة النفسية عند قدماء المصريين أن رياضة «اليوجا» كانت معروفة عندهم، وكان لهم السبق فى ممارستها... وأنها كانت من الطقوس الدينية[1].

(١) لقد وُجدت صور كثيرة تعبر عن أوضاع اليوجا فى نقوش مقابر الدولة القديمة... وقد كشف البرفسور «لوبرى» أن أول أوضاع اليوجا - وهو رفع الذراعين إلى أعلى لاستقبال القوى الكونية أو دلالة على علاقة الروح بالقوى العليا - هى التى عبر عنها قدماء المصريين بالرمز «الكا» أى النفس التى صوروها على شكل ذراعين ممدودتين إلى السماء.

وتمتد طقوس الرقص الدينى من الحركات التعبيرية والتوقيعية الهادئة إلى الطقوس التى تشبه حركات الذكر فى وقتنا الحاضر(١).

وكان للمصريين القدماء مواكب يسيرون فيها حاملين الطبول أو الدفوف وسعف النخيل والسيوف لطرد الأرواح الشريرة التى تعترض الموكب أو تعوق مسيرته.

. . . لقد كان ارتباط الرياضة بالعقيدة من الأسباب الجوهرية التى جعلت الشعب يتمسك بها ويحافظ عليها، ولا سيما أنه قد جعل ممارستها من أركان العقيدة، لسلامة النفس والعقل والجسد.

* * *

*** الموسيقى الفرعونية:**

لقد كان للموسيقى والموسيقيين مكانة خاصة فى مصر الفرعونية، بفضل الدور الذى كانت تلعبه الموسيقى فى المعابد كفن مقدس. . . .

. . . فكان لموسيقى معبد آمون ـ وهم أرفع طبقات الفنانين ـ منزلة ومكانة كبيرة، وهم كهنة المعبد، بل فى كثير من الحالات كان الكاهن الأكبر نفسه من كبار الموسيقيين . . . .وكان كثير من الأمراء والنبلاء وأفراد العائلة الملكية ينتمون إلى المعبد لدراسة الموسيقى والحصول على درجة «موسيقى معبد آمون» . . . وهى من درجات الشرف الدينية العليا، حتى إن بعض الملوك من الأسرات القديمة والحديثة كانوا يضيفون إلى ألقابهم الملكية لقب «موسيقى».

---

(١) يلاحظ أن حفلات الزار الحالية وما يصاحبها من حركات هستيرية ما هى إلا امتداد لطقوس مماثلة لأنواع من الرقص الدينى أو الرياضة الروحية التى قصد بها طرد الأرواح الشريرة، وشفاء الأمراض المرتبطة بها.

وظهرت فى رسوم كثيره من مقابر «طيبة» الملكة نفسها أو زوجة النبيل وهى تعزف فى الحفلات الرسمية، أو المناسبات الدينية أمام زوجها وضيوفه.

فقد أدَّت الموسيقى دورًا حيوياً فى المجتمع الفرعونى، حيث كانت أول وسيلة عرفها المصرى القديم للتعبير عن عواطفه ورغباته وآماله، كما كان لها دورها فى حياته الخاصة والعامة: فى علاقته مع نفسه ومع مجتمعه ومع آلهته، وكانت جزءا لا يتجزأ من حياته، فشاركته فى أفراحه وأعياده، وشاركته فى عمله لتخفيف عبء العمل، فصاحبت عمال البناء فى رتابة أعمال البناء ونقل الأحجار، كما صاحبت أصحاب الحرف أثناء مزاولة مهنتهم، والبحارة أثناء تجديفهم، والفلاحين أثناء عملهم فى حقولهم. وكان لكل مناسبة من المناسبات آلاتها وإيقاعاتها وتوقيعاتها(١).

وتعد آلة «الناى»(٢) أقدم الآلات الموسيقية فى مصر الفرعونية(٣). وقد احتل «الناى» دوره فى كثير من أساطير الأدب الفرعونى القديم... ومن أجمل الأساطير التى سجلتها إحدى برديات الدولة القديمة فى طيبة... الأسطورة التى تحكى كيف جلس الراعى العاشق الأخرس «أى نا» على شاطئ النيل فى إحدى الليالى القمرية يبكى حبه، ويشكو إلى آلهة النيل،

(١) لقد وصفت برديات «هرمس» الآلات الموسيقية المصرية القديمة: «أن لكل آلة من آلاتهم الموسيقية طابعها وصوتها وأنغامها المميزة، فواحدة ألحانها تفرح القلب، وأخرى ترضى الآلهة، وثالثة لمناجاة الحبيب، ورابعة لطرد الشر وإبعاد الحسد، وخامسة للأعياد والأفراح، وواحدة لاستقبال المولود، وأخرى لوداع الراحل.. كما كانت للحرب طبول، وللنصر أبواق.

(٢) لم يتمكن أحد من المؤرخين أو الأثريين من تحديد بدء ظهور الناى، ولكن حسبنا أن نعرف أن «الناى» قد ساير الموسيقى الفرعونية وتطورها، واحتل مكانة مرموقة ضمن الآلات الموسيقية العريقة.

(٣) لقد اختلف المؤرخون فى تحديد نشأة الموسيقى وآلاتها وعلاقتها بنشأة الحضارة وتطورها فى وادى النيل، فبرغم ما وضع لها من بحوث، وما سجله المؤرخون القدماء من دراسات تاريخية وميثولوجية، فإن ما تكشف عنه الحفريات يلقى ضوءًا جديدًا على تلك العلاقة، ويصحح كثيرًا من النظريات الاجتهادية التى وضعت لها.

وقد حرمته الحياة نعمة النطق؛ لأن لسانه عاجز عن التعبير عمَّا يريد أن يقوله ليعبر به عن حبه للأميرة «ثاميو»، فخرجت له إلهة الحب «هاتور» من بين الشعاع الفضى الذى يكسو صفحة الماء، وقطعت عودًا من أعواد الغاب الذى يحرس شاطئ النهر وأعطته إياه، وطلبت منه أن ينفخ فيه بأحاسيس قلبه.

وتحكى الأسطورة كيف تساقطت دموعه الحارة على غابة «الناى» فحفرت فيها الثقوب التى خرجت منها أول ألحان الحب... لقد جمعه «الناى» بحبيبته التى سمعت نداء قلبه عن طريق ألحان نايه.

وتحكى أسطورة مماثلة أن أنامل عروس البحر وهى تريه كيف يعزف على الناى تركت بصماتها على الناى، وهى الثقوب التى خرج منها النغم الخالد.

وظهرت بعد «الناى» الآلات الوترية(١)، ومنها القيثارة التى ظهر منها ثلاثة أنواع: وهى

القيثارة ذات الأوتار الخمسة، والتى تعبر أوتارها عن الحواس الخمس: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس.

القيثارة ذات الأوتار السبعة، التى تعبر أوتارها عن الحواس الخمس أيضا بالإضافة إلى الخيال والإبداع.

---

(١) كان أول ظهورها فى أرض وادى النيل المقدس، وأقدمها «الربابة» ذات الأوتار الثلاثة التى تحاكى الربابة الريفية الحالية. وكانت أوتارها الثلاثة ـ كما وصفتها الأساطير الفرعونية القديمة ـ تعبر عن فصول السنة النيلية الثلاثة:

الوتر الأول: يعبر عن فصل الفيضان طبقته الجهير الأول «البرتيون».

الوتر الثانى: يعبر عن فصل الزراعة طبقته الجهير الثانى «الباس».

الوتر الثالث: يعبر عن فصل الحصاد طبقته الصادح «التينور».

والقيثارة ذات الأوتار[1] العشرة، والتى تعبر أوتارها عن الحواس الخمس بالإضافة إلى القوى الباطنية، وهى العقل، والذهن، والخيال، والظن، والوحى. كما بدأ استعمال الدفوف المستديرة والمضلعة التى كانت تشترك فى الإيقاع. . . وكانت الراقصات يستعملنها فى رقصات الأفراح والأعياد[2].

كذلك كان للموسيقى العسكرية آلاتها الخاصة، فظهرت الطبول العسكرية، والأبواق المستقيمة التى كانت تستعمل فى الاستعراضات العسكرية والمواكب الملكية.

وكان الكثير من بنات الملك والنبلاء يُكَرِّسْنَ أنفسهن لخدمة معبد «آمون» بعد حصولهن على درجة دينية فخرية كموسيقية المعبد.

وكان يشترط فى بعضها أن تقوم حاملة اللقب بالانقطاع لخدمة المعبد ثلاثة أشهر كل سنة. . . وكانت تُسجل أسماؤهن فى لوحات الشرف الدينية بالمعبد[3]. وقد كان الاختيار يقع عليهن بعد توافر الشروط المطلوبة، ومنها:

يشترط أن تكون بكرًا، ويُحلق شعر رأسها، وتعطى «باروكة» مقدسة موشاة بالذهب والأحجار الكريمة، وينقش على سوار تحمله حول معصمها

---

(١) يلاحظ أن اليهود قد نقلوا «والقيثارة ذات الأوتار العشرة» إلى معابدهم عند خروجهم من مصر، واستخدموها فى طقوسهم وتراتيل أناشيدهم الدينية، وعُدَّتْ من الآلات المقدسة التى تصاحب الصلاة والتراتيل، كما هو الحال فى المعابد الفرعونية.

(٢) ذكر كليمندس السكندرى المؤرخ المصرى القديم وصفًا لحفلات الموسيقى الدينية، يشترك فى عزفها مئات العازفين على مختلف الآلات، ومن بينهم النبلاء والأميرات.
وتقوم بعض المعاهد الموسيقية حاليا بمحاولة كشف العلاقة بين موسيقا الغجر فى العالم وبين الموسيقى الفرعونية التى تأكدت ملامحها فى موسيقى وألحان الكنائس المسيحية القديمة والمعابد اليهودية.

(٣) ومن بين اللوحات التى يحتفظ بها متحف «برلين» إحدى اللوحات التى وجدت بمعبد «ناعت» بطيبة، وتحمل أسماء موسيقيات الشرف بمعبد «آمون»، ومن بينهن بنات الكاهن الأكبر، كما تضم اللوحة بعض أسماء الأميرات والنبيلات، وإحدى بنات الملك.

اسمُها الفنى ودرجتها الكهنوتية، والدور الفنى الذى تقوم به بجانب الموسيقى، من رقص أو غناء.

ولقد اعتبرت الفنون الثلاثة المقدسة وهى: الموسيقى، والرقص، والغناء، من طقوس دين التوحيد(١). وكان يتحتم على كل امرأة تعتنق ذلك الدين الجديد أن تتقن فنّاً من تلك الفنون الثلاثة.

وقد كانت الموسيقى عند قدماء المصريين من بين علوم المعرفة المقدسة التى يدير شئونها ويحتفظ بأسرارها كهنة المعابد، أسوة بمختلف علوم الفلك، والطب، والكيمياء ، والتحنيط، التى يحتفظ بأسرارها علماؤها المتخصصون الذين ينتمون إلى كهنة معبد الإلـه... والذين لهم عالمهم الخاص كَرُسُل للمعرفة، وأنصاف آلهة، يقومون بتلقين الشعب تطبيقاتها العملية، فى حين يحتفظون بأسرارها العلمية كرسالة سماوية يؤتمنون على أسرارها.

وكان للموسيقى معاهد خاصة تلحق بالمعابد، ومن أشهرها وأقدمها معهد معبد «أون»(٢)... ثم جامعة «حوتب»... ومعبد «طيبة».

كما اشتهر معبد «أبيدوس»... ومعبد «دندرة» اللذان ترعى فنونهما الإلـهة «هاتور» إلـهة الحب والجمال والموسيقى.

وقد تخصص بعض المصريين القدماء فى علاج كثير من الأمراض بالموسيقى بعد أن اعتقدوا أنه توجد علاقة بين الموسيقى وعلم الروح، والطب الروحانى والنفسى.

وتحدث حكماء المصريين عن الموسيقى وأهميتها، فقال الحكيم «آنى» على سبيل المثال: «الموسيقى هى لغة الآلهة، إنها تسمع بالقلب والعقل والأذن؛

(١) هو الدين الذى نادى به ووضع تعاليمه الملك «أخناتون»
(٢) ترجع نشأته إلى ما قبل عهد الأسرات.

لأنها صوت السماء، سمح بها الاله الأعظم لحتحور إلهة الحب والجمال والفنون، لتنقلها من الجنة إلى أهل الأرض، فهى لغة مخاطبة الأرواح، لينقلوا صوت صلواتهم ودعواتهم للإله».

كما قال الحكيم «حتب»: «الطبيعة خرساء، والموسيقى تفك عقدة لسانها، فهى توقظ قدرات الجمال الراقدة فى قلب الحياة وفى متاهات الوجود»، فضلاً عن ذلك ما قاله الملك أخناتون:

«. . . . إن الإله الذى خلق العالم وحده يحب الجمال الذى أودعه فيه، وأجمل الأصوات صوت الموسيقى. هدية السماء للأرض»[1].

* * *

(١) مجلة الهلال: عدد يوليو ١٩٧٤ «الموسيقى الفرعونية للدكتور سيد كريم» (بتصرف).

• من العادات الجنائزية القديمة[1]:

كان المصريون القدماء إذا نزلت بساحتهم محنة الموت يطلقون شعر الرأس واللحية، ومن المعروف أن زينتهم كانت فى النظافة... والحلاقة كانت لديهم من مكملات الزينة. وهم حين يحزنون يصرفهم الحزن عن الزينة، فيرسلون شعورهم ويطلقون لحاهم[2] حتى تنتهى أيام الحداد... وقد كانت تبلغ أربعين يومًا[3] بعد أن كانت قبل ذلك تطول فتبلغ سبعين يومًا.

وكانت المرأة المصرية فى عهد الفراعنة تتجرد من زينتها الطبيعية إذا مات زوجها، فتحلق شعر رأسها ولا ترسله إلا بعد مرور عام من وفاته.

وإذا مات فى بيت من بيوت المصريين القدماء رجل ذو قَدْرٍ كبير لطخت كل نساء هذا البيت الرأس أو الوجه بالطين، ثم يتركن الجثة فى الدار، ويجلسن لاطِمَاتٍ، وقد شمرن وكشفن عن صدروهن، ومعهن كل قريباتهن.

والرجال كذلك يلطمون ويشمرون، وعندما ينتهى ذلك يحملون الجثة لتحنيطها. ثم يقوم الكاهن بإطلاق البخور على مومياء الميت، فى حين

(١) «هردوت يتحدث عن مصر»: هردوت ترجمة د. محمد صقر خفاجة (بتصرف).

(٢) يلاحظ أنه ما زال ذلك دأب بعض المصريين حتى اليوم، وخاصة أهل القرى فى شمال مصر، وفى صعيدها، وأقاليمها الوسطى.

(٣) وللأسف ما زالت عادة الأربعين قائمة لدى الكثيرين الآن يتوارثونها جيلاً بعد جيل!

يخاطبه آخر قائلا: «اذهب يا «بتاح نفر» فقد تفتحت لك السماء، وتفتحت لك الأرض، وانفسحت لك طرق العالم السفلى كى تخرج، وتدخل مع الإله «رع»، فتسير مستمتعًا بحريتك كأى سيد من أسياد الأبدية.

هذا، والنساء يبكين ويندبن على الميت وهو مسجى فى التابوت، وكانت الباقات والأكاليل المصنوعة من أغصان شجرة «البرساء» المقدسة تقدم للموتى فى جنازاتهم وتوضع على قبورهم.

وفى مصر القديمة كان للموتى أعياد يذكرهم الأحياء فيها، ويحملون إلى قبورهم كثيرًا من ألوان الطعام والشراب، فيأكلون ويشربون، ويصيب معهم من ذلك الطعام والشراب كل طارق، ثم يلهون ويمرحون، وهم يعتقدون أن الموتى إنما يشاركون بأرواحهم فى الطعام والشراب، وفى اللهو والمرح أيضاً.

ومن أهم ما كان يحتفل به المصريون القدماء ذكرى أربعين الميت[1].

. . . . ومن العادات الجنائزية التى ظل المصريون القدماء يتمسكون بها عادة دفن موتاهم بعناية مهما كلفهم ذلك من نفقات كثيرة، على الرغم من الأحداث المتكررة المخيبة لآمالهم. . . فإن هذا لم يكن حبا فى التقاليد القديمة فحسب، ولكن لأنهم كانوا يعتقدون أن ذلك يسعد الميت، إذ لم يكن القربان والدعاء وحدهما كافيين[2].

* * *

(١) يلاحظ أنه قد انحدرت إلينا عادة ذكرى أربعين الميت من أسطورة «أزوريس»، إذ تُرينا أن أخاه «ست» قد حقد عليه وقتله، ومزق جثته إلى أربعين جزءًا، وطرح أشلاءها فى أقاليم الوادى، وكان عددها فى ذلك الوقت أربعين مقاطعة.

وقد أقام المصريون القدماء للإله «أزوريس» بعد أن أصبح إلها للموتى والاستشهاد أربعين قبرًا لكل جزء من جسمه، يحج الناس إليه لنوال البركة. وبقيت هذه الأجزاء فى التحنيط مدة أربعين يومًا.

ومنذ ذلك الحين والفراعنة يحنطون جثث موتاهم ويبقونها أربعين يومًا بعد معالجتها بمختلف أنواع العقاقير، ثم يشيعونها بعد ذلك إلى مثواها الأخير فى احتفال مهيب.

(٢) المرجع السابق (بتصرف).

• عمارة الخلود والحياة لدى قدماء المصريين :

حرص المصرى القديم - الذى آمن بالخلود - على الاحتفاظ بذكريات حياته الدنيوية، ومعيشته فى إطار مجتمعه، فزين حوائط مقابره بالنقوش والرسوم والصور والنماذج المجسمة التى تمثل حياته الاجتماعية اليومية، وما ارتبط به من عادات وتقاليد. . . . صَوَّرَ قاعات الاستقبال فى مسكنه، وما كان يُقام بها من حفلات استقبال وترفيه وأعياد.

كما صَوَّرَ ما كان يمارسه من أعمال وصناعات تقليدية وحرف متنوعة. . ويبدو أن المهندس المصرى القديم كان حريصًا على تخليد تصميماته الهندسية وروائع فنه المعمارى، فسجلها بدوره واحتفظ بها على شكل مخططات وتصميمات رسمها على صفحات أوراق البردى وألواح الاردواز، نقش عليها مساكن وقصورَ أصحاب القبور(١). . كما نحت بعض نماذجها على حوائط مقبرة أصحابها.

---

(١) من بين الأمثلة الحية لنماذج القصور أو عمارة الحياة التى احتفظ بها مصغرة فى مقابر العصر العتيق تابوت الملك «يوادجى». . وهو عبارة عن نموذج مصغر مجسم للقصر الملكى، بواجهاته وبواباته وزخارفه، وطابعه المعمارى المميز بخطوطه الرأسية المستقيمة، وأعمدة الواجهات الملتصقة، وهو نفس الطراز المعمارى لعمارة «منف» منذ نشأتها.

كما وُجدت عدة نماذج للقصور وتصميمات واجهاتها فى مقابر «أبيدوس»، أحد ملوك الأسرة الثانية.

وللعمارة المصرية القديمة وجهان يكمل كل منهما الآخر: أحدهما عمارة الحياة، وهى التى تخدم حياة المجتمع، وتتمثل فى مبانى مختلف نشاطات حياته ومبانيه العامة، أما الجانب الآخر للعمارة فهو ما يطلق عليه عمارة الخلود، التى اهتم بها بوجه خاص، والتى تتمثل فى المقابر، والمصاطب، والأهرامات، والمعابد؛ ولذا أسماها «عمارة العالم الآخر».

وقد أثبتت الدراسات الحديثة فضل مهندسى مصر القدماء فى إرساء أسس نظريات البناء والإنشاء لمختلف مواد البناء التى انتقلت من مصر عبر التاريخ إلى مختلف الحضارات الأخرى، وما زالت تحتل مكانها فى العمارة العالمية الحديثة، ومن تلك صناعة الطوب التى لم تختلف عما هى عليه الآن، بل ما زالت كما كانت، سواء من ناحية التكوين أو التصنيع، أو طريقة البناء(١).

كما ابتكر المصريون القدماء نظرية بناء الحوائط الطولية المرتفعة(٢) بمداميك مقوسة لمقاومة الهبوط والشروخ والتمدد.

كما قاموا أيضًا بتسليح الحوائط السميكة بوضع دعامات خشبية داخل الحوائط بين المداميك لربطها، وقاموا بتسليح بعضها بالعروق الخشبية... وغير ذلك من فنون العمارة المبنيَّة على نظريات علمية متقدمة للغاية، كشفت عنها دراسة العمارة الفرعونية منذ أقدم عصورها!

---

(١) لقد صنع قدماء المصرين قالب الطوب من طمى النيل الذى يقدمه إله النهر كل عام على شاطئيه هدية لأبناء واديه، وكانوا يخلطون الطين بالتبن أو قش البوص، وتخمر العجينة فى أحواض خاصة تشكل بعدها قوالب الطوب.

(٢) وصل ارتفاع المبانى بالطوب النىء فى الدولة القديمة إلى ارتفاع ثلاثة أدوار، وكان الدور الأرضى فى القصور المرتفعة يُبنى بأكمله بالحجر، أما حوائط الأدوار العليا فكانت تُبنى بالطوب النىء، وتطلى بالجص الذى تطلى به الحوائط الحجرية.

كما طبق المصريون القدماء نظرية المساكن الجاهزة أو السابقة التجهيز فى بناء مدن بأكملها[1]. . . فظهرت المساكن الجاهزة التى تُصنع حوائطها من وحدات خشبية متماثلة تثبت فى بعضها البعض بأربطة من الجلد، وتستند على قواعد حجرية بها مجرى تركز فيها الحوائط، وتربطها من أعلى كتلة خشبية على شكل مجرى تحمل العروق الخشبية التى تكون الأسقف المزدوجة لمنع الحرارة، وتكسوها الألواح الخشبية من أسفل، والحصائر من أعلى، والتى تغطى بطبقة من الطَّفْل. . . كما صنعت لها وحدات ثابتة النماذج للأبواب والنوافذ يمكن تثبيتها وفكها بسهولة.

* * *

(١) مثال على ذلك الحى الشرقى بمدينة أخناتون فى تل العمارنة التى أقامها أخناتون.

obeikandl.com

• عيد وفاء النيل:

كان المصريون القدماء يولون النيل عنايتهم الكاملة(١)... فكانوا يحتفلون بعيد وفاء النيل، فيسمون لحظة فيضانه «ليلة النقطة»(٢)، وهى النقطة التى انحدرت لأول مرة من عيون الجميلة «إيزيس» حزنًا على قتل زوجها «أوزوريس»، وظلت فى البكاء حتى وصل النيل إلى درجة الفيضان من الدموع الغاضبة لإيزيس، كما تصور لنا ذلك أسطورة «إيزيس وأوزوريس»... إذن فالدمعة كونت دموعًا، والدموع تحولت مع الحزن الشديد إلى سيل عَرِم، بدأ من نقطة وانتهى إلى فيضان.

وظل هذا الاعتقاد سائدًا فى الأزمان القديمة... ومن هنا، فإن الفراعنة جعلوا من «أوزوريس» إلـها للنيل، وجعلوا عرش الإلـه فوق النيل، بل وجعلوا قبره ـ فيما بعد ـ عند منابع النيل.

وقد جرت العادة قديمًا أنه إذا أقبلت الليلة الثانية عشرَة من شهر بئونة ذهبوا إلى جارية... ولا بد أن تكون الجارية بكرًا، فيأخذونها من أهلها بعد

---

(١) تذكر لنا المراجع التاريخية أن التاريخ الفرعونى يمكن أن يكون فى أغلبه تفسيرًا لعديد من الظواهر النيلية، وتعد أسطورة «إيزيس وأوزوريس» من أبرز صوره.

(٢) يقال إن «النقطة» قد نزلت لأول مرة فى التاريخ القديم يوم ١١ من شهر بئونة، وحين توالت السنون تبين أن هذا اليوم هو يوم ١٧ يونيو.

أن يرضوهم بالمال، ثم يلبسونها أجمل الثياب وأفضل الحلى، ثم يلقونها فى النيل.

وظل المصريون القدماء على هذا المسلك الغريب فى احتفالهم بالنيل حتى جاء عمرو بن العاص إلى مصر فى ذلك الوقت، فأخبروه أن للنيل سُنة لا يفيض إلاَّ بها... فتعجب من هذا الشأن ورفض أن تلقى جارية كعروس فى النيل قائلا: «إن هذا لا يكون فى الإسلام... وإن الإسلام يهدم ما قبله..

ويقال إن النيل لم يفض بعدها، وزادت فترة الجدب على ثلاثة أشهر، فعاد الناس إلى عمرو يسألونه فى ذلك، فأرسل هو بدوره إلى عمر بن الخطاب خليفة المسلمين... فجاء الرد سريعًا من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص فى خطاب أوصاه أن يلقيه فى النيل، وكانت الرسالة عبارة عن خطاب إلى النيل:

«من أمير المؤمنين إلى نيل مصر... أما بعد... فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر... وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك».

وتقول باقي الرواية إن النيل قد جرى بشكل فاق جريانه كل عام.

لقد كان الاحتفال بوفاء النيل من العادات الوثنية التى عرفتها مصر القديمة.

*** عيد شم النسيم:**

كان المصريون القدماء يحتفلون بمقدم الربيع فى يوم شم النسيم، كما يُحتفل به الآن، حيث يمثل لهم رمز الخضرة المحببة إلى نفوسهم، فضلاً عن حبهم للزهور والنباتات الخضراء، فقد كانت أحب الأمانى عند المصرى القديم أن تقدم الزهور لروحه بعد الممات....

ولقد صورت الرسوم والنقوش على المقابر والمعابد والتوابيت وأوراق البردى وغيرها أن المصرى القديم كان مغرمًا بالأزهار وزراعة البساتين، فضلاً عن ذكرها فى شعره وكتاباته، مما يدل على أنها كانت تلعب دورًا مهمًا فى حياته، فكان يهتم بتزيين جدران قاعات الاحتفالات بأعياده وموائد قرابينه بها، وكان الملوك والأمراء يشتركون أيضًا فى الاحتفال بهذا العيد لحبهم للخضرة، وغرامهم بالزهور والأشجار.

ولم يكن ذلك مقصورًا على الملوك فحسب، إذ كان الفلاحون يعلقون الزهور حول أعناقهم، بل يزينون الحيوانات بها، حتى تلك التى تُرَبَّى لتذبح كقرابين، كانت تحلى رقابها بأكاليل من الزهور، وتلف حول رقبتها زهرة «البشنين».

وكانت موائد الطعام تُزَيَّنُ بزهور «اللوتس» الكبيرة، كما كان الضيوف يزينون أنفسهم بالزهور ذات الرائحة الذكية.

وكذلك كان المصريون القدماء يهتمون كثيرًا بالبصل[1]، ويحفظونه على عتبة كل منزل، مع وضع بعض الملح والماء، لاعتقادهم أن البصل يقضى على الأرواح الشريرة، وعلى الحسد؛ ولذا كانوا يقدمونه قرابين للآلهة!

وأنه إذا كان بالمنزل مريض وشفى فإنهم يدفعون البصل القديم ويضعون مكانه بصلاً حديثاً. كما كان البصل يُستخدم كهدية فى يوم شم النسيم.

وكان المصريون القدماء كذلك يعلقون البصل على صدورهم فى شكل أكاليل حول العنق، وذلك كان مشهورًا لديهم... وكانوا يعتقدون أنهم لو تركوا بصلة فى حجرة المريض فإنه يشفى... وإذا كانت الفتاة حائرة فيمن

(١) توجد بعض النصوص المصرية القديمة التى تؤكد أن المصريين القدماء كانوا يحتفلون بالبصل فيما يعرف بعيد البصل، الذى تطور اسمه لديهم فصار يُعرف باسم عيد شم النسيم.

تختار من بين المتقدمين للزواج منها، فإنها تحضر بصلات بقدر عددهم، وتنقش اسم كل منهم على بصلة وتزرعها، والتى تنبت أولاً يكون صاحب الاسم المنقوش عليها هو الزوج المختار.

* * *

*** الأزياء وأدوات التجميل والزينة:**

كانت المرأة المصرية القديمة تخضع لأحدث أزياء «الموضة»، فترتدى الثياب الشفافة الخفيفة المطرزة، والمحلاة بأشكال ورسومات بألوان زاهية... أو ترتدى الثياب الطويلة التى تشبه المعاطف، أو الرداء الضيق الذى يبرز مفاتن جسدها، وينحدر من تحت الثدى حتى يبلغ رسغى القدمين، وتحمله «حمالتان» تمران فوق الكتفين، وتكونان معقودتين على الكتفين أحيانًا.

وفى بعض الأحيان تمتد الحمالتان فى وضع رأسى من القميص إلى الكتفين، أو تقترب إحداهما من الأخرى فى ميل، أو تتقاطعان.

وفى العصور القديمة كانتا تغطيان الثديين تمامًا، ولكنهما أخذتا بعد ذلك تضيقان، بحث مكنتا الثديين من الظهور.

وفى بعض الأحيان تزين الحمالات بزهيرات تنتشر فوق النهود، وتطرح غالبًا شبكة من حبات الخرز فوق القميص.

كما اعتادت النساء أن ترتدى معطفًا أبيض فوق الرداء العادى يلتف محبوكاً على أجسادهن، وهو ما يشبه «الكاب» الذى يعد أحدث الأزياء فى وقتنا الحاضر.

وقد قضت «الموضة» وقتئذ أن ترتدى المرأة قطعتين من الثياب: إحداهما قميض ضيق يُبْقى الكتف الأيمن عاريًا، على حين يُغَطى الكتف الأيسر برداء فضفاض شفاف يُرْبَط من الأمام فوق الثدى.

وكانت المرأة المصرية القديمة تبدو فى أبهى زينة، لا تخلف عمَّا تتزين به مثيلتها الآن من حلى تضفى عليها سحرًا وجمالاً، حيث كانت حريصة على استعمال المجوهرات، والقلائد، والأساور، والأقراط، والخواتم.

وتجدر الإشارة أن الرجال والنساء ـ على حد سواء ـ كانوا يلبسون القلائد التى تغطى الصدر وتتدلى من أسفل العنق، وتصنع فى معظم الأحيان من خرز مختلف الألوان، فقد كانت تظهر حول الرقبة سلسلة ذهبية تحمل حلية ذهبية كبيرة مطعمة بالجواهر، أو تميمة كبيرة.

واستخدمت المرأة أيضًا الأساور التى توضع فى معصم اليد «والخلاخيل» التى توضع فى رسغى القدمين(١).

ولجأت المرأة القديمة إلى استخدام وسائل التجميل(٢) تعالج به لون بشرتها، وتزيد من بريق عيونها السوداء الواسعة، وكانت حريصة على طلاء شفتيها باللون الأحمر(٣) على نحو ما هو متبع الآن، كما كانت تصبغ شعرها ويديها وقدميها بالحناء للتجميل.

---

(١) المرأة فى تاريخ مصر القديم: وليم نظير (بتصرف).

(٢) يلاحظ أنه قد عثر فى مقابر المصريين القدماء على أدوات كثيرة للتجميل والزينة، كالحلى والمجوهرات، والقلائد، والأساور، والأقراط، والخواتم، والمكاحل، والأمشاط، ودبابيس الشعر، والمرايا، وأحمر الشفاه.

(٣) قد عثر فى بردية «تورين» المشهورة على رسم يبين إحدى الحسان وهى تمسك بيدها اليمنى فرشاة تطلى بها شفتيها باللون الأحمر، وتتأمل زينتها فى مرآة أمسكتها بيدها اليسرى، وفى نفس اليد علبة بها أحمر الشفاه.

وكان المصريون القدماء ـ رجالاً ونساءً ـ يعلقون أهمية كبرى على الدهون، والعطور النادرة، والزيوت الثمينة.

وكانت النساء يحرصن بوجه خاص على دهن شعورهن، مما يكسبهن لمعاناً وبريقًا.

واستعملت المرأة المصرية القديمة الشعر المستعار المعروف بـ «الباروكة»، حيث كانت تستعين بخصل من الشعر الصناعى لتكملة نقص شعرها ليبدو طويلاً كشعر الحصان، أو بشعر كامل تغطى به شعرها الطبيعى.

... ومما كان يعد أحدث صيحات الشعر المستعار تصفيف الجزء العلوى على شكل خصل، مع تصغير «الجانبية» منها، وربط كل ضفيرتين أو ثلاث بخيط.... وتحلى «طاقية» الشعر المستعار بالذهب أو بشريط مطعم حول الرأس، مع زهرة لوتس ذكية الرائحة.

وقد كانت العادة أن ترسل النساء شعورهن لتتدلى وراء ظهورهن، أو يقصصنها فى شكل ما يعرف الآن بـ «ألاجارسون»... أو يسدلن شعورهن فى مجموعتين تتدلى كل مجموعة منهما على إحدى الكتفين.

وكان استخدام الدبابيس المصنوعة من العظم أو العاج أمرًا ضروريا فى زينة شعر المرأة، فضلاً عن الأمشاط التى تستخدم فى تصفيفه وترجيله.

كما عرفت المرأة المصرية القديمة استخدام طلاء الأظافر المعروف بـ «المانيكير»، ووضع الكحل فى عيونها، وتزجيج حواجبها، وغير ذلك من أشكال الزينة والتجميل؛ ليضفى عليها سحرًا وفتنة[1].

---

(١) المرجع السابق (بتصرف).

وقد أوجبت العقائد الدينية وطقوسها فى مصر القديمة ضرورة اهتمام المرأة بزينتها، وخصوصا خلال الاحتفالات العامة والخاصة، فضلاً عن أن المرأة نفسها أدركت بخبرتها وفطنتها أن جمالها لا بد أن يتوافر له أساسيات ثلاثة:

- البشرة النضرة الصافية التى تمنح الوجه ضياءً وجمالاً وفتنة.
- والعيون الجميلة الساحرة، التى هى سر غموض المرأة الآسر.
- والشعر النظيف المهذب الذى يعد تاج المرأة، ورمزَ أنوثتها ونظافتها.

... ومن خلال هذه المعادلة البسيطة تعاملت حواء مع كل ما حولها، فنجدها تولى بشرتها عناية فائقة ومتناهية، حيث ابتدعت أقنعة العناية بالبشرة بهدف تقويتها وتجديد شبابها، وإمدادها بالعناصر اللازمة لها، واستخدمت لذلك «الغرين»(١) الذى كان يجلبه النيل فى فترة الفيضان، ويجلب معه الخصوبة والخير والنماء للأرض والمرأة معًا.

كما استخدمت أنواعًا أخرى مثل عسل النحل ومطحون الحلبة والأعشاب ... وفطنت المرأة الفرعونية إلى أن العناية ببشرتها تحتاج فيها إلى أكثر من ذلك، فوضعت برامج للعناية ببشرتها، مستخدمة فى ذلك العديد من أنواع الزيوت النباتية لترطيبها وتغذيتها.. ومن أهم هذه الزيوت:

زيت «البابونج»(٢)... وزيت «الخروع» وزهرة «اللوتس»(٣).... وزيت «الحلبة»(٤)...

---

(١) المثير أن بيوت الخبرة فى مجال العناية بالجمال اتجهت لاستخدام أنواع من الطين الذى تتوافر فيه العناصر الطبيعية والمعدنية سهلة الامتصاص لعمل أقنعة للبشرة؛ لما لها من أثر فعال فى تغذية البشرة وتقويتها، وتجديد حيويتها، والمحافظة على نضارتها وليونتها وصفائها.

(٢) يلاحظ أن شركات إنتاج مستحضرات ومواد التجميل قد بدأت فى استخدامه كعنصر أساسى وفعال لتغذية البشرة والعناية بها، بعد أن تأكد لبيوت التجميل المتخصصة أنه أفضل أنواع الزيوت فعالية فى هذا المجال لما له من فوائد متعددة، وبلا أية آثار جانبية.

(٣) بدأت شركات إنتاج مستحضرات التجميل فى استخدامها على نطاق واسع، وخصوصا فى العناية بالبشرة الدهنية، لما له من أثر إيجابى، حيث يعيد التوازن للبشرة.

(٤) يتميز بقدرته الفائقة على مقاومة التجاعيد أو تأخير ظهورها، فضلاً عن أثره الفعال فى القضاء على النمش، وقد ثبت أن الملكة «كليو باترا» قد استخدمته بغرض العناية ببشرتها والمحافظة على شبابها.

هذا، وقد تعاملت المرأة الفرعونية مع مستحضرات ومواد التجميل بخبرة ووعى، وبلا مبالغة أو إسراف، حتى إن طبقة «الماكياج» التى كانت تضعها على بشرتها كانت غاية فى الشفافية والنعومة، ولا تخفى ملامحها أو لون بشرتها الطبيعى... وكانت تستخدم لذلك الحجر الثلجى أو «السيلكا»، وذلك بعد القيام بطحنها وتنعيمها ووضعها فى أوانٍ خاصة للاستخدام.

ولإضفاء مزيد من الحيوية والجمال لوجهها لونت المرأة الفرعونية وجنتيها بلون وردى كانت تحصل عليه من العديد من الأكاسيد الطبيعية، مثل «أكسيد الحديد الأحمر» أو «ثمار الرمان» الجافة بعد إعدادها.

واهتمت المرأة الفرعونية برسم خطوط العين فى انسجام وتوافق رائع مع خطوط الحاجبين؛ لتبرز الترابط الرائع مع بقية ملامح الوجه، ومن الجدير بالذكر أنه لا تزال مهارة المرأة الفرعونية مثار إعجاب كل عين تقع عليها حتى يومنا هذا.

ومما أضفى على تلك العيون مزيدًا من الجمال والغموض الجذاب ما كانت تستخدمه المرأة من كحل[1] وظلال للعيون.

وقد استخدمت المرأة الفرعونية لتحديد خطوط العين من الداخل «المِرْوَد» الذى صُنع من خامات عديدة، كالحجر، والذهب، والبرونز، والذى تميز بدقة ونعومة فائقة.

وكما ظهرت المرأة المصرية كحيلة العينين نجدها أيضًا قد اهتمت بجمال حاجبيها، وكان لها سبق ابتداع «تزجيج» الحاجبين، حيث تدخلت فى شكلها حذفاً وإضافة؛ لتصل بذلك إلى أكمل وأجمل ملامح على الإطلاق.

(١) هناك أنواع للكحل الذى كانت تستخدمه المرأة الفرعونية مثل كحل «الملاخيت»، وهو خام أخضر مائل للزرقة من خامات النحاس، وكحل «الجالينا» وهو خام أشهب من خامات الرصاص، وكحل «السفاج» أو ما يسمى بالكحل البلدى، وكان يحضر بإحراق بذور الكتان أو قشر اللوز ويتميز لونه بالسواد.

هذا، وقد عثر فى العديد من المقابر على ملاقط ومقصات صغيرة من الذهب والنحاس والبرونز كانت تستخدمها المرأة فى تزجيج الحاجبين والتخلص من بعض الشعر، لإضافة بعض الخطوط التى تتناسب وشكل العينين.

كما اهتمت المرأة الفرعونية بالتخلص من الشعر الزائد مستخدمة لذلك شفرات حادة صنعت من معادن مختلفة أو أحجار شديدة الصلابة.

وتغلبت على المشكلات المتعلقة بشعرها بأسلوب علمى، فتخلصت من مشكلات الشعر المجعد باستخدام مجموعة من الزيوت الطبيعية، مثل زيت الخروع، وزيت الزيتون المضاف إليهما خام الحديد، لإكساب الشعر النعومة والبريق(١).

ولترطيب شعرها أيضاً وتغذيته استخدمت مجموعة من الأعشاب، مثل «الحنة» و«خشب الصندل» و«المسك» و«العنبر»، حيث خلطت هذه المواد جميعًا وصنعت منها عجائن تبسط فوق الشعر فتزيد من حيويته ونعومته.. كما عملت أيضًا على التغلب على مشكلة تساقط الشعر، بالإضافة إلى استخدامها دهون الأسد والقط والثعبان والغدد الدهنية للبط مع المسك والعنبر لعمل خلطات تستخدم بطريقة دورية، وبمقادير متساوية وتمشيطه بأمشاط مختلفة الأشكال(٢).

وعرفت المرأة الفرعونية صباغة الشعر، واستخدمتها للعديد من المناسبات وبرعت فيها(٣).

---

(١) وهذا المركب يذكرنا بما يعرف حاليًا باسم «البرمانينت».

(٢) من الجدير بالإشارة أنه قد عثر فى العديد من المقابر على أشكال مختلفة من الأمشاط منها المسنن من جهة واحدة، والمسنن من الجهتين، وقد زين معظمها بعناصر زخرفية من الطبيعة.

(٣) تدل الآثار على ذلك، فقد وجد بتابوت الأميرة «عاشيت» المحفوظ بالمتحف المصرى أن صاحبته قد لونت شعرها بلون مائل للاخضرار. أما تابوت الأميرة «مرسى عنخ» فعليه رسم=

ومن الجدير بالذكر أن المصرى القديم قد برع فى إنتاج أمشاط من خامات مختلفة، مثل «الخشب» و «الأبانوس» و «والعظم» و«العاج» وأنواع المعادن الأخرى.

. . . وقد عرفت مصر القديمة مهنة تصفيف الشعر(١) التى كانت تقوم بها النساء، وتعرف الواحدة منهن باسم «نشت».

ويذكر لنا التاريخ المصرى القديم أنهن كن يؤدينه على خير ما يكون الأداء، وكان دورهن رائعًا فى إعداد التسريحات، وتهذيب الشعر ونظافته والعناية به.

وكانت المرأة الفرعونية تغير تسريحة شعرها من وقت لآخر، ومن مناسبة لأخرى، وقد شاع فى ذلك الوقت استخدام الشعر المستعار بجميع أشكاله، كالخصلات، والجدائل، والحشو، والباروكات(٢) واستخدمت لتثبيتها مثبتات الشعر المتنوعة من المواد «الراتنجية» والدهون الحيوانية، والشمع. . . .

= للأميرة وقد صبغت شعرها بلون وردى، مما يؤكد أن المرأة المصرية فى العصور الفرعونية قد عرفت صباغة الشعر واستخدمتها فى العديد من المناسبات كما سبق أن ذكرنا.

(١) ادخرت لنا الآثار الفرعونية العديد من الرسوم والنقوش التى توضح لنا المصففة وهى تقوم بعملها، فضلاً عن النقش الموجود على تابوت الأميرة «كاويت» والمحفوظ أيضًا بالمتحف المصرى، وقد ظهرت فيه الأميرة وهى تجلس على كرسى، وفى يدها مرآة، ومن خلفها مصففة الشعر تمسك بين أصابعها بلفة «رولو»، وأعلى ذلك دبوس به ثلاث لفات، وأمام الأميرة جارية تقدم لها إناء الشراب.

(٢) الجدير بالذكر أن الآثار المصرية القديمة حافلة بالعديد من التماثيل والرسوم لنساء مصر الفرعونية، ونرى فيها العديد من التسريحات التى نعرفها اليوم، كالكاريه أو البانك، أو الشعر المسدل، أو الشعر القصير، أو الطويل، أو المنكوش، أو الجدائل بمختلف أشكالها، بالإضافة إلى الشعر المضموم لأعلى بطريقة «الشيفون».

وحرصت على استكمال زينة شعرها بإضافة بعض اللمسات الجمالية الخاصة عند تثبيت الشعر بوضع دبابيس التثبيت الجميلة التى صُنعت من مختلف المواد.

وإذا كانت المرأة الفرعونية قد حرصت على العناية بجمالها واهتمت به إلى هذا الحد وحافظت عليه بهذه الأساليب ـ فقد حرصت أيضًا على أن تكون على درجة عالية من الرشاقة وجمال النسب، ومن أجل ذلك مارست العديد من أنواع الرياضات البدنية، وشاركت فى كل المناسبات والاحتفالات بالرقص والغناء، مما كان له الأثر الكبير فى إكسابها الرشاقة والليونة... بل أكثر من ذلك عرفت فنون التدليك، وعنيت بدراسته وممارسته على أساس علمى دقيق، مستخدمة فى ذلك أنواعاً من الزيوت لترطيب البشرة والمحافظة على ليونتها ولياقة العضلات التى تعاملت معها، فكان لذلك الأثر الواضح الذى نراه فى صورها ومنحوتاتها وتماثيلها.

وتطورت فى مصر القديمة صناعة العطور، وكان العطر «المنديسى» هو أشهرها وأغلاها على الإطلاق، ويرجع السبب فى ذلك إلى ما يحتويه من مواد عطرية وزيوت متميزة. ومما يدلل على أهمية العطور للمرأة وصية الحكيم «بتاح حتب» لولده حينما يوصيه بالمرأة: «... والعطر خير زاد لجسدها».

وهكذا كان للمرأة الفرعونية السبق والريادة فى مجال العناية بالجمال ووضع قواعده ومفاهيمه.

*** دستور السعادة الزوجية لدى الفراعنة:**

سطر حكماء مصر الفرعونية القديمة حِكَماً ونصائح للحياة الزوجية

السعيدة، من تلك أهمية الزواج المبكر، فقد أوصى الحكيم «بتاح حوتب» نجله الأكبر الذى تسمى بمثل اسمه قائلاً:

«إذا أصبحت كُفئا فأسس بيتك، وأحبب زوجتك فى حدود العرف، وعاملها بما تستحق»، ويعظ الحكيم «آنى» ولده «خنسوحوتب» فيقول له:

« تخير لك زوجة وأنت شاب، وأرشدها كيف تكون إنسانة(١)». ثم يضيف قائلاً:

«... وعساها أن تلد لك ابناً، فإنها إذا أنجبته لك وأنت فى طور الشباب استطعت أن تهذبه وتجعله إنساناً...».

وفى الزواج المبكر أيضًا يقول الأديب «عنخ شاشنقى» لولده:

«اتخذ لك زوجة حين تبلغ العشرين، حتى يتأتى لك الخلف وأنت فى ميعة الشباب».

وكان المصريون القدماء يحاربون البغاء بالحث على الزواج المبكر، فيقول الحكيم «آنى»:

«إن الرجل العاقل يجب ألاَّ يقرب النساء الساقطات الهائمات على وجوههن لفقدهن شرف الزوجية، بل يجب أن يتخذ له زوجًا بكرًا، فإن البيت الذى يؤسسه الإنسان له خير النعم، وزوجته الشرعية تخلف له أولادًا حلالاً من دمه ولحمه، يخرجون على خُلق أبيهم»(٢).

---

(١) يعنى بذلك تنويرها وترشيد قدراتها الفطرية لما فيه صالح أسرتها ونفع أطفالها.

(٢) يلاحظ أن تلك النصائح والتعاليم يزيد عمرها على خمسة آلاف عام، وقد وضعها الفراعنة المصريون فى أول دستور للسعادة الزوجية قد عرفه العالم.

وترك المصريون القدماء للابن والابنة حرية الرأى فى الاختيار، فقالوا: «لا تزوج ابنك ممن لا يحبها».

وكتب الحكيم المصرى القديم «آنى» لولده «خنسوحوتب».

«احذر المرأة الأجنبية، المجهولة فى بلدتها، لا توجه إليها لحاظك، ولا تتزوج منها، إنها لُجَّةٌ شاسعة عميقة لا يُعرف تيارها. . . .».

ووعظ الأديب «عنخ شاشنقى» ولده أيضًا فى اختيار قرينته فقال: «احذر أن تتخذ فتاة سيئة الطبع زوجة حتى لا تورث أبناءك تربية فاسدة».

ثم ينصح الأب أيضًا قائلاً:

«تخير لابنتك زوجًا عاقلاً، ولا تلتمس لها زوجًا ثريا».

وقال كذلك:

«قد تزوج ابنتك لصائغ، ولكن لا تزوج ابنك لابنته».

وإذا لم تكن العروس من الأقارب أو المعارف فينصح الحكيم «بتاح حوتب» بأن تكون:

«. . . معروفة بين أهل بلدتها. . .» ثم أورد التزامات الزوج تجاه قرينته فقال:

«أشبع جوفها واستر ظهرها، وعطِّرْ بشرتها بالدهان، فترياق بدنها هو الدهان. . .».

ثم قال: «وأسعد فؤادها طوال حياتك، فهى حقل نافع. . .».

ويضيف أيضًا: «. . . استمل قلبها بعطاياك تستقر فى دارك».

أما الحكيم «آنى» فيورد مجموعة نصائح نفيسة منها:

- لا تعنف زوجتك فى دارها إن أدركت صلاحها.

- لا تسلها عن شىء قائلاً: أين موضعه؟ هلم أحضريه إلىَّ.

- افتح عينيك وأنت صامت وتحقق من مزاياها.

- إذا أردت أن تعيش سعيدًا فى بيتك، فكن مع امرأتك أخًا، وكن معها كصديق.

- لا تهجر امرأة فى دارك لأنها عقيم(١).

إن مجموعة الحكم والنصائح المصرية القديمة تعطى تصورًا واضحاً عن حياتهم الاجتماعية، ولا سيما الزوجية منها كجزء من تراث عاداتهم وعلاقاتهم الأسرية.

*** عقيدة السحر فى مصر القديمة:**

كان للسحر أثره العميق فى حياة قدماء المصريين، حتى صار من الفنون المعترف بها من الجهات الرسمية فى الدولة المصرية القديمة.

وكان السحرة يستخدمون كثيرًا من أفعال السحرة والرقى والتعاويذ(٢) لجعل عملائهم يرون فى منامهم ما سوف يحدث لهم من أحداث فى مستقبل حياتهم... فقد كانت الصلة وثيقة بين الكهانة والسحر، حيث كان قدماء

---

(١) من دستور السعادة الزوجية: عبلة الساعاتى، مجلة نصف الدنيا، عدد ١٩٩٢/١٢/٢٧ (بتصرف).

(٢) حفظت لنا أوراق البردى التى يرجع تاريخها إلى عام ١٤٥٠ قبل الميلاد كثيرًا من أفعال السحرة والرقى والتعاويذ، فضلاً عَمَّا عثر عليه فى بعض مقابرهم من جداول خاصة بطوالع النجوم، وهذا له دلالات معينة فى هذا المجال.

المصريين يعتقدون فى طوالع السعد والنحس... فبعض الأيام فى أنظارهم سعيد الطالع، والبعض الآخر مشئوم الطالع.... وكان الملك يستشير الكاهن قبل أن يقدم على عمل مهم.

وكان لبعض الأعداد دلالات تنجيمية خاصة، كالعدد (٧)، والعدد (١٢). لقد كان للسحر أثره البالغ على تفكير قدماء المصريين وعلى مظاهر الحياة عندهم، فقد كانوا يلجئون إلى الرقى والتعاويذ لطرد الأرواح الخبيثة، حيث كانوا يعتقدون أنهم يستطيعون إرهاب الآلهة ذاتها أو استعطافها بهذه الرقى والتعاويذ... كما كانوا يستطيعون بها استحضار الأرواح من العالم غير المنظور وتغيير مجرى الحياة الطبيعية بالخوارق والأعاجيب!

كما كان السحر أيضًا يعد من الأمور الجوهرية عند تحضير الموتى للانتقال إلى العالم الآخر، فإجراءات التحنيط والدفن عند قدماء المصريين كانت متصلة اتصالاً وثيقاً بالسحر، فقد كانوا يتلون عند كل عملية من عمليات التحنيط الرقى والتعاويذ والعبارات السحرية الخاصة، التى بدونها لا يمكن أن تتم عملية التحنيط كما يجب.

وحرص قدماء المصريين على أن يرسموا داخل توابيت الموتى المناظر المألوفة لدى المتوفى؛ لكى تتحقق محتوياتها فى الحياة الأخرى.

وكان يُدفن مع الفراعنة كتاب[١] يضم بعض الألفاظ والعبارات السحرية، وكذلك التمائم والتعاويذ المختلفة بقصد إخضاع الآلهة لسلطان المتوفى، حتى يستطيع إجبارهم على تنفيذ رغباته وإرادته.

---

(١) يسمى «كتاب الموتى» وهو عبارة عن مجموعة من الصور السحرية والتعاويذ والرقى، يستخدمها المتوفى عندما ينتقل إلى الحياة الأخرى.

ولم تكن مظاهر الحياة اليومية عند قدماء المصريين تخلو من آثار السحر، حتى إن المصرى القديم لم يكن يحضر طعامه أو يتهيأ للنوم إلا بعد تلاوة بعض التعاويذ والصيغ السحرية الخاصة.

كما كان الطب عند قدماء المصريين مشحونًا بالسحر والطقوس السحرية، فالعلاج الرئيسى عندهم كان عبارة عن مجموعة من الرقى والتعاويذ يتلونها عند رأس المريض فيبرأ من مرضه... فقد كانوا يستخدمون فى علاجهم أنواعاً مختلفة من الأعشاب النباتية يخلطون بعضها ببعض مع تلاوة بعض الألفاظ والعبارات السحرية(١) فتكسبها قوتها الشافية، فقد كانوا يفضلون العقاقير المركبة على العقاقير البسيطة التركيب.

كما كانوا يستخدمون بعض أجزاء الحيوان فى تركيب الأدوية والعقاقير، خصوصًا ما كان متصلاً منها بالأعضاء التناسلية، إذ كانوا يعتقدون أنها تمنح الحياة وتطيلها... واستعملوا أيضًا الأجزاء القذرة من جسم الحيوان، إذ كانوا يرون أنها طاردة لشياطين الأمراض، وذلك بسبب خصائصها الباعثة على الاشمئزاز.

لقد كان السحر ـ فى مصر القديمة ـ يستخدم لمعالجة الأمراض بوجه عام، سواء أكان المرض ينسب إلى فعل الأرواح الشريرة، أو يرجع إلى أسباب أخرى.

---

(١) مثال ذلك العقار الطارد للزكام، وهو لبن امرأة تكون قد أنجبت ولدًا، إذ كانت تتلى عليه التعويذة التالية: «ألا فلتذهب أيها الزكام يا بن الزكام، يا من تحطم العظام وتفسد الدماغ، وتفصل الدهن، وتمرض الفتحات السبع فى الرأس... إن خدم «رع» يتوسلون إلى «تحوت».. انظر، إنى أحضر وصفتك إليك ودواءَك إليك: لبن امرأة أنجبت ولدًا، وكرات العطور.. إن هذا يطردك، وإن هذا يعفيك، وإن هذا يشفيك، افرج على الأرض رائحة كريهة. (نقلا عن كتاب «مصر والحياة فى العصور القديمة» لأدولف إريان.

وكان السحر يزادد أثره ومفعوله إذا استطاع الساحر بدلا من استخدام الاسم العادى للإلـه أن يسميه باسمه الحقيقى، أى بذلك الاسم الخاص الذي يمتلكه كل إلـه وتستقر فيه قوته، فكل من عرف هذا الاسم الحقيقى اكتسب قوة صاحبه... فالإلـهة «إيزيس» قد استطاعت أن تجعل إلـه الشمس يكشف لها عن اسمه الحقيقى الخفى، ومن ثم أصبحت تستمتع بنفس القوة التى كان يستمتع بها هذا الإلـه(١).

وكانت الصيغ السحرية تتلى على أشياء مختلفة فتكسبها قوة سحرية خالدة ....فمثلاً إذا تليت تعويذة التمساح(٢) على بيضة مصنوعة من الطمى، وحملها معه البحَّار فى سفينته، فإن التمساح الذى يطفو على سطح الماء مهدّدًا البحَّار لا يلبث أن يغرق فى جوف الماء.

كما كان فى الإمكان عمل أشكال وتماثيل من الورق أو الشمع وتلاوة التعاويذ عليها، فإذا ما نقلت هذه الأشكال والتماثيل خلسة إلى بيت العدو جلبت عليه المرض والشقاء.

واعتاد المصريون القدماء أيضاً أن يصنعوا دُمىً صغيرة تمثل خدم المتوفى، والآنية التى كان يستعملها فى حياته، ثم تُدفن فى المقبرة مع المتوفى بعد أن تملأ بالقوة السحرية عن طريق تلاوة الصيغ السحرية، وذلك بقصد أن يستعملها المتوفى فى حياته الأخرى.

ولم يكن استخدام هذه التمائم مقصورًا على الموتى فحسب، بل كان الأحياء أيضًا يعلقونها بخيوط حول رقابهم للحماية(٣).

(١) فنون السحر: أحمد الشنتناوى (بتصرف).

(٢) وكلمات هذه التعويذة نقول:

«أنا المختار من بين الملايين، الذى يخرج من العالم السفلى الذى لا يعرف اسمه أحد، إذا نطق اسمه علي مجري الماء جف، وإذا نطق اسمه فوق اليابسة جعل النار تشتعل.. أنا «شو» صورة «رع» الذى يجلس فى عين أبيه... إذا كان هناك أحد فى الماء «أى التمساح» يفتح فمه... وإذا ضرب بذراعيه جعلت الأرض تسقط فى الماء، وجعلت الجنوب شمالاً، والأرض تنقلب رأسًا على عقب.

(٣) كانت هناك تميمة تقول كلماتها:

وكانت هناك أنواع مختلفة الأشكال من هذه التمائم توضع كقطعة وسطى فى عقود من الخرز قد عثر على الكثير منها فى أقدم المقابر، ثم أصبحت الآلهة والحيوانات المقدسة نفسها لا تستغنى عن مثل هذه الوقايات.

ولم يكن البشر وحدهم هم الذين يمارسون السحر فى مصر القديمة، بل كانت الآلهة أيضًا لا تستغنى عن السحر فى تصريف أمورها، إذ كانت تتخذ التمائم للحماية، وتستخدم التعاويذ والصيغ السحرية(١)؛ لكى يقهر بعضها البعض.

وكانوا يعتقدون أنهم فى استطاعتهم أن يقوموا بأفعال عجيبة غريبة لا تقف عند حد إرهاب الشياطين أو استحضار أرواح الموتى، بل يقومون بأفعال سحرية يقصدون بها إرهاب إلـه الشمس أو إلـه القمر، وغيرهما من الكائنات السماوية، أو إجبار الأجرام السماوية على أن تبوح بأسرارها، وبما سيحدث فى المستقبل، وألاَّ يعملوا على زعزعة السمـوات، وغير ذلك من الأعمال التى هى فوق قدرة البشر.

وكانت هذه الأعمال وأمثالها تحتل مكانة عالية فى أعين الكهنة المصريين وفى تعاويذهم؛ لأنهم كانوا يمارسون السحر أيضًا.

وكانت تعاويذهم تضم فى بعض الحالات تهديدات موجهة إلى الآلهة

= «يا دم إيزيس.. ويا سناء إيزيس.. وقوة إيزيس السحرية... ويا تميمة تحمى هذا الرجل العظيم، حذار من أن تأتى ضررًا يصيبه... فقد كانت «إيزيس» من دون جميع الآلهة الآخرين ربة السحر التى اشتهرت بوصفها عظيمة الشأن فى كلمات السحر.

(١) كانت الصيغ السحرية التى يستعملها المصريون تنشأ غالبًا عن فكرة واحدة، فقد كان الساحر يفكر فى حادث من حوادث الآلهة، يكون هذا الإلـه قد أصاب فيه نفس النجاح الذى يود ذلك الساحر أن يحققه لنفسه، فكان يتخيل نفسه كما لو كان هو الإلـه، ويتلو نفس الكلمات التى فاه بها الإلـه فى ذلك الحادث، وما دام أثرها فيما مضى كان فعالاً قويا فقد كان الساحر واثقاً من نفعها وإتيانها بالفائدة فى حالته هذه أيضًا.

ذاتها ، وكانوا يعتقدون أنه إذا وضع «الجعران»(١) فى القبر مع الميت، فإن له القدرة على إعادة الحياة إلى هذا الميت. وكان يتعين فى هذه الحالة تلاوة بعض التعاويذ والألفاظ السحرية على جسد المتوفى قبل وضعه فى القبر.

وأنه لكى يجبر الساحر الأرواح والآلهة على إطاعة أوامره وإرادته ـ سواء أكانت إرادة طيبة أو شريرة ـ كان عليه أن يكون على دراية بالألفاظ الخاصة الباعثة على القوة والسلطان، وعلى معرفة بأسماء الآلهة، وهو بهذا يكون له القدرة على الأرواح والآلهة مهما كان عددها وقوتها، وتسخيرها وفقاً لإرادته.

* * *

(١) مما هو جدير بالذكر أن التميمة الشائعة لدى قدماء المصريين كانت «الجعران» المصنوع غالبًا من الصلصال أو الحجر، وكان «الجعران» رمزًا لإله الشمس، أى مصدر الحياة.

obeikandl.com

• الحب بالسحر:

من الوسائل الغريبة التى كان يلجأ إليها شباب الفراعنة للتأثير على حبيباتهم السحر(١) فإذا ما أراد «روميو» الفرعونى استمالة قلب حبيبته لجأ إلى استعمال تماثيل صغيرة مميزة مصنوعة من شمع العسل، وعلى شكل منافسه فى حب «چولييت» الفرعونية. ويستدعى «روميو» أحد السحرة الذى يقوم ببعض الطقوس السحرية على هذه التماثيل، وإذا كانت هناك بوادر نتيجة لهذه الأعمال السحرية، وشعر «رميو» أن حبيبته بدأت تقتنع به، أخبر الساحر الذى يقوم فورًا بكتابة بعض التعاويذ السحرية أسفل التمثال الصغير، وتتضمن هذه التعاويذ اسم المنافس العاشق واسم والدته ووالده.

وكان الاعتقاد السائد أنه بمجرد كتابة التعويذة أسفل التمثال تكون النتيجة أن تحلم «جولييت» بـ «روميو» الفرعونى أحلامًا وردية، وما تلبث أن تعشقه وتصمم على الزواج منه مهما كان الفارق الاجتماعى، أو فارق السن، فالتأثير السحرى حينئذ يطغى!!

وعندما يتفق الحبيبان على تحديد موعد الزواج يضعان فى اعتبارهما أيام «السعد» وأيام «النحس».. فقد كان الفراعنة يعتقدون بأن هناك أيام «سعد وأخرى «نحس» تبعًا لحوادث معينة وقعت لآلهتهم(٢).

(١) يلاحظ أن هذا الأسلوب السحرى لا يزال متبعاً فى بعض قرى مصر وغيرها.

(٢) من الأمثلة الطريفة التى ورد ذكرها فى تقويم فرعونى عن يوم معين فى شهر توت: «لا تدع =

وكان الفراعنة يقدسون الزواج المبنى على الحب... وفى أحد عقود الزواج الفرعونى يتعهد الزوج لحبيبته وزوجته قائلاً:

«لقد اتخذتك زوجة وأُما لأطفالى الذين ستلدينهم، كل ما أملك وما أحصل عليه سيكون لك، ولن أستقطع أى جزء من دخلى لأعطيه لآخرين. سأعطيك من النبيذ والجعة والزيت ما يكفى لطعامك وشرابك طوال العام»(١).

ومن الجدير بالذكر أن الفراعنة قد اشتهروا بالزواج المبكر حفاظًا للشباب من الدنس والموبقات، وهى عادة ما زالت متبعة حتى الآن فى الريف المصرى.

* التميمة والسحر:

ارتبطت عقائد قدماء المصريين منذ نشأتها بالعالم الآخر، وقد لازم تلك العقائد قوى مضادة، وهى قوى التمائم(٢) التى تدفع الأذى وتمنع الشر؛ لتحمى الإنسان فى حياته الأولى التى أطلقوا عليها اسم حياة التجربة التى يمتحن فيها الإنسان فى صراع الحياة بين الخير والشر، وفى رحلة العالم الآخر إلى حياة الخلود.

= النور يسقط عليك فى هذا اليوم حتى غروب الشمس، ولا تستمع فيه للغناء أو تشهد الرقص؛ لأنه يوم مشئوم تتشاجر فيه الآلهة «حورس» و «ست».

وكانوا يعتقدون أن شهر «توت» هو أقدس شهور السنة، ومن ثم يتفق أغلب الأحباب على الزواج فى هذا الشهر.

(١) مجلة نصف الدنيا.

(٢) التمائم عبارة عن إشارات رمزية اصطلاحية، لكل منها تعبير خاص وفعالية مرتبطة بما تعبر عنه، سواء كانت تعبر عن الصحة، أو الشباب، أو القوة، أو الحكمة... الخ

ولا يقل عدد التمائم الأصلية التى أمكن جمعها وحصرها عن ثمانين تميمة، بخلاف التمائم المركبة التى تجمع بين أكثر من تميمة فى تكوين أو تشكيل واحد.

وتعد تميمة «عنخ» أول تميمة ظهرت ضمن عقائد ومعتقدات المصريين القدماء ـ قد قدمها «تحوت» إلى البشر، ويعبر شكلها عن عضوى التناسل فى الذكر والأنثى. ومن الجدير بالذكر أن البرديات صورت «تحوت» رسول المعرفة المقدسة، وهو يحمل تميمة «عنخ» بيده، ويقربها من أنف الإنسان لينفخ عبرها أنفاس الحياة ـ وهو التقليد الذى ظهر فى كثير من نقوش المعابد، والتى يظهر فيها الإلـه وهو يقدم «العنخ» لأنف الملك لكى يعطيه الحياة فى الدنيا وقوة البعث فى رحلة الآخرة.

كما ذكرت الدراسات المتعلقة بالمعتقدات فى مصر القديمة أن كهنة المصريين القدماء اتخذوا شكل مفتاح الحياة[1] من شكل فقرة العمود الفقرى الذى أطلقوا عليه اسم «عمود الحياة»، ومنه شكلوا ثانى تميمة ظهرت فى قائمة التمائم، وهى تميمة «زد» رمز الخلود، والتى تجمع بين العمود الفقرى الكامل وأعمدة الكون أو الحياة الأربعة.

وقد لعبت التميمة دورًا مهمًا فى الطب السحرى، ولا سيما تميمة «عنخ» المعدنية التى وصَفتها برديات الطب السحرى أنها تشفى من لدغ الثعابين والعقارب إذا وضُعت مكان اللدغة وتُليت عليها بعض التعاويذ السحرية، حيث تعمل التميمة على امتصاص السم وسحبه من الجسم؛ لذا كانت التميمة لا تفارق عمال المناجم، يحملونها على صدرورهم أو يربطونها حول معصمهم[2].

---

(١) اختلف المؤرخون ومفسرو المصريات فى التوصل إلى المصدر أو الأصل الذى اتخذ منه الفراعنة شكل مفتاح الحياة، الذى يقرب من صورة رجل واقف على قدميه باسط ذراعيه، كما ظهر فى بعض النقوش القديمة.

(٢) «تميمة عنخ» لغز مفتاح الحياة: د. سيد كريم (مجلة الهلال عدد يناير ١٩٩٢) بتصرف.

وأن تميمة «عنخ» إذا دمجت مع تميمة «واز» ووضعت فى مدخل البيت فإنها تحمى سكان البيت من عيون الشر والحسد.

أو إذا وضعت تحت عتبة الدار تمنع دخول الحشرات السامة والضارة من تخطى عتبة الدار.

وكان المعتقد الشائع أن المادة التى تتكون منها التميمة لها تأثير كبير على قوة فاعليتها، فالذهب ذلك المعدن المقدس لديهم وصفوه بأنه من لحم الإله، أو شعاع الشمس المتجمد، وهو يرمز إلى الخلود والبقاء؛ لأنه المعدن الوحيد الذى لا يبلى ولا يفنى؛ ولذا كان يصنع منه مفتاح الحياة المقدس الذى يحمله كبار الكهنة والملوك.

كما اعتقدوا أن لكل مادة من المواد التى تصنع منها التميمة فاعليتها الخاصة فى الدور الذى تقوم به.

ومن الجدير بالذكر أن التميمة كان يدخل فى صناعتها أيضًا الأخشاب المقدسة، والعاج، والأبنوس، والأحجار الكريمة بكل أنواعها.

كما كان للألوان الخاصة بالخامات التى تصنع منها «التميمة» تأثير فى فاعليتها، فاللون الأزرق لمنع الأرواح الشريرة وعيون الحسد... واللون الأخضر للصحة والشباب... واللون الأبيض للطهارة والإخلاص... واللون الأسود لجلب الحظ... أما اللون الذهبى فإنه اللون المقدس؛ لأنه يجمع بين جميع ألوان الطيف وخاصية فاعلية كل منها، مع المحافظة عليها من الفناء، فأطلق على التميمة التى تصنع من الذهب التميمة الجامعة؛ لأن فاعليتها تجلب جميع عناصر الخير، من الصحة والقوة والحظ والحب والحكمة، وتقاوم أو ترد جميع عناصر الشر، من الحسد والمرض والفقر... الخ.

وكانت التميمة الذهبية المقدسة تزين بتطعيمها بالأحجار الكريمة باختلاف ألونها الطبيعية.

أما بالنسبة لتميمة «مفتاح الحياة» فقد أدَّت دوراً حيوياً فى صناعة المصاغ وأدوات الزينة، وكانت لها بصماتها الواضحة فى الفنون بأنواعها، امتداداً إلى الطراز المعمارى. وفى أعياد الحصاد صنع المصرى القديم من سيقان عيدان القمح نموذجًا خاصا لتميمة «مفتاح الحياة» كانوا يعلقونها على أغصان الأشجار المطلة على حقول القمح ومزارعه، ويرفعونها على أبواب منازلهم تيمنًا بالخير ووفرة المحصول، وتعبيراً عن شكرهم للإله، فكانت تميمة «مفتاح الحياة» تصاحب القرابين المقدمة للمعابد، فيظهر حامل القرابين وتمائم «عنخ» تزين أياديه.

وكانت التمائم التى تقدم مع القرابين تصنع من المعادن النفيسة التى يحتفظ بها فى القاعات المقدسة بالمعابد، ويحمل كل منها اسم مهديها إلى الآلهة.

وفى الحروب كان القادة العسكريون يحملون «مفتاح الحياة» معلقًا على صدورهم أو منقوشاً على أساور معاصمهم، كما وجد بعضها منقوشاً على الدروع كمفتاح للنصر والحماية(١).

* * *

(١) المرجع السابق.